مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية

اسم المقال: جدلية الأصولية والإصلاح الديني في العالم العربي: الواقع والمأمول
اسم الكاتب: م.د. عامر محمد مهدي، أ.د. حسام كصاي حسين
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/6420
تاريخ الاسترداد: 2026/11/03 08:56 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

Journal of Anbar University for Law and Political Sciences
مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية
P. ISSN: 2706-5804 E.ISSN: 2075-2024
Volume 14- Issue 1- June 2024 المجلد ١٤- العدد ١ – حزيران ٢٠٢٤

The dialectics of fundamentalism and religious reform in the Arab world: reality and hopes

[1] Dr. Amer mohammed [2] Dr. Husam kassal
[1] University of Baghdad [2] University of Tikrit/College of Political Science

Abstract:

Today, the topic of religious fundamentalism has formed the focus of political and intellectual discussions, in addition to religious ones, due to its penetration into all aspects of life and the attempt to expand at the expense of reality, including modernity, modernization, development, and globalization. Fundamentalism imposed a specific pattern of thinking and behavior that goes beyond rationality and sound scientific thinking that we seek - as a context for the renaissance of the Islamic nation -, This thinking forced her to adopt harshness, excessive extremism, and tendencies towards antiquity in her effort to reform the nation and restore what had been distorted by the historical turning points in the history of Muslims. She saw that religious reform could only be achieved through this vital approach, we mean jihad and fighting, or what was called religious violence.

While we believe that there is a close connection between the title of our research (Fundamentalism and Religious Reform) and the triple meaning of the concepts (renewal - discourse - religion) related to the necessity of reconsidering - not the verbal functions, but rather the nature of the relationship between them, and the religious has a distinctive specificity in the Arab and Islamic space because it is the extended space that crystallized. The discourse has existed over a long historical period and has acquired its own authority, which has begun to take root behind the sanctity and transcendence of the "religious" in the form of a purely "ideological hierarchy".

Here we are trying to find out the questions of the Arab reality, the answers to which have been fruitless, until now, and we have continued to repeat the same questions and respond to them with repeated, reproduced, and repeated answers, to the point that fundamentalism and religious reform have become the focus of the Islamic concern from which we suffer, and for this reason we are trying to remove the confusion surrounding the most prominent questions and problems of thought. Contemporary Arab-Islamic and the answer is as easy as possible for us.

1: Email:
amer.m@uobaghdad.edu.iq
2: Email:
Hussam.kassay@tu.edu.iq

DOI
10.37651/aujlps.2024.149715.1260

Submitted: 24/3/2024
Accepted: 10/4/2024
Published: 1/06/2024

Keywords:
Dialectic
Fundamentalism
religious reform
reality
hope.

©Authors, 2024, College of Law University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

جدلية الأصوّلية والإصلاح الديني في العالم العربي: الواقع والمأمول

[١] م.د. عامر محمد مهدي [٢] أ.د. حسام گصّاي حسين

[١] كلية القانون- جامعة بغداد [٢] جامعة تكريت/ كلية العلوم السياسية

الملخص:

شكل موضوع الأصولية الدينية اليوم محور النقاشات السياسية والفكرية علاوة على الدينية ذلك لتوّغلها في كل مفاصل الحياة ومحاولة التمدد على حساب الواقع بما هو حداثة وتحديث وتطور وعوّلمة _ بغض النظر عن موقفنا منها بالسلب أو بالإيجاب _ ، ففرضت الأصولية نمط معين من التفكير والسلوك متجاوزاً للعقلانية والتفكير العلمي السليم الذي ننشدهُ _ كسيّاق لنهضة الأمة الإسلامية _ ، وهذا التفكير حتم عليها أن تتبنى الغلاظة والإفراط في التشدد والميول نحو القدامة (الماضوية) في سعيها لإصلاح الأمة وإعادة ترميم ما شوهتهُ الانعطافات التاريخية من عُمر المسلمين، فرأت إن الإصلاح الديني لا يتم إلا من هذا المدخل الحيوي، نقصد الجهاد والقتال أو ما سُمي بالعنف الديني.

فيما نعتقد بوجود صلة وثيقة بين عنوان بحثنا (الأصولية والإصلاح الديني) وبين دلالة ثلاثي لمفاهيم (التجديد _ الخطاب _ الدين) تتعلق بوجوب إعادة النظر _ ليس في الدوال اللفظية وانما في طبيعة العلاقة بينهما وللديني خصوصية مميزة في الفضاء العربي والإسلامي لكونه الفضاء الممتد الذي تبلور فيه الخطاب على مدى تاريخي طويل واكتسب سلطته الخاصة التي راحت تترسخ وراء قداسة "الديني" وتعاليه بشكل "تراتبية أيديولوجية" محضة.

نحاول هنا الوقوف على أسئلة الواقع العربي التي وقفت عند حدودها الإجابات عقيمة بين التغاضي، السكوت عنها، الإجابات الجاهزة والوافدة ... إلخ، حتى اللحظة والمراوحة على إعادة نفس الأسئلة والرّد عليها بإجابات معادة ومستنسخة ومتكررة ذاتها، وهذا سبب بحثنا، أو بالأحرى أحدى روافد إشكالية البحث التي نتقصي الإجابة العلمية لها، لدرجة أصبحت الأصولية والإصلاح الديني محور الهّم الإسلامي الذي نعاني منهُ ولهذا نحاول إزاحة اللغط الحاصل حول أبرز أسئلة وإشكاليات الفكر العربي الإسلامي المعاصر والإجابة بما يتيسر لنا عليها.

الكلمات المفتاحية:
جدلية، الأصولية، الإصلاح الديني، العالم، العربي.

المقدمة

يشكل الأصولية الإسلامية أحد معطيات الفكر الديني المعاصر، التي اجتذبت التدخل في القضايا العربية المعاصرة، لتشكل عنصراً محورياً في إدارة ملفات الدولة، الحكم، السياسة، العلاقات الخارجية، وكذلك الأمر ينسحب إلى الحرب، والإرهاب، في وضع تشهده المنطقة العربية قائم على حالة اللااستقرار منذ احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ (أو ما سمي بغزوة مانهاتن) إلى احتلال بغداد عام (٢٠٠٣م)، إلى ظهور الجماعات المسلحة، فوق الدولة، إلى قيام ثورات الربيع العربي، شهدت المنطقة حالة من الصعود الديني، والثورة الدينية، كانت الأصولية أحد أبرز عناوينها العريضة، التي تفيئت تحت ظلالها مفاهيم: الدولة، وبناء الدولة، الحكومة، السلم، النظام السياسي، الجهاد كحرب، بدعوى أن الأصولية تهدف إلى تجديد الفكر الإسلامي، بغية تحقيق الإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي، لكن المفارقة أن تلك الأصولية _ كادعاء فرض عام _ اتخذت العنف سبيلاً لتحقيق أهدافها، مع أننا مع أهدافها في الإصلاح، لكن ضد وسائلها العنيفة، لأسباب تتعلق بمصدرية الإسلام نفسه، دين السلم، واللاإكراه، والتي هي أحسن، والتي هي أقوم، بالرغم من حاجة الأمة للإصلاح، وشريطة نهضته به، إلا أن هذه الحاجة قد تنتفي حين يقترن الأمر بالعنف والقتال تحت أي مسمى ديني ووازع أخلاقي.

وبالرغم من محاولات الإصلاح الديني بدءً من مشروع الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذيه (محمد عبده ومحمد رشيد رضا) إلى يومنا هذا، فأن مشروع الاصلاح الديني الأصولي اعتراه جملة مثبطات، لهذا فشلت كل المحاولات، ولأنها فشلت قدمنا هذه الورقة البحثة، لبحث أسباب الفشل من جانب، وإمكانية إيجاد صورة مقاربة بين الأصولية والإصلاح في الحالة العربية من جانب أخر، لتتضح لدينا بصورة أدق.

أولاً: فرضية البحث: وهي أن الأصولية مثلت جانباً من الإصلاح الديني لدى الأنصار، ونفي ذلك الإصلاح عند الخصوم، بينما ترى الدراسة، أن الأصولية جديرة بالإصلاح الديني، لكن شرط توفر شروط الأصولية السليمة، البعيدة عن الثورية والراديكالية، واصطبغت باللون القومي (العرقي)، بحكم البيئة العربية الخالصة، أي تفترض الدراسة إن الإصلاح ممكن ولكن مشروط.

ثانياً: إشكالية البحث: حول إمكانية الأصولية الدينية في العالم العربي من إمكانية الإصلاح الديني والتجديد والنهضة.

ثالثاً: سؤال البحث: وتبدو في صيغة سؤال البحث ما هي علاقة الأصولية بالإصلاح الديني، وكيف يمكن تحقيق النجاح لمحاولات الإصلاح الأصولي بالمنهج العلمي، وثمة أسئلة فرعية أخرى تحاول الدراسة الإجابة عليها في كل محور من متونها.

رابعاً: منهجية البحث: فقد اعتمدت الدراسة على ثمة منهج بحث، منها منهج التحليل (الوصفي) ومقترب الثقافة السياسية الذي يدرس العقائد والهويات والثقافات الأخرى، إلى جانب منهج المقارن حالة اقتضاء الأمر ذلك.

خامساً: أهداف البحث: فهي: ١) إمكانية تفكيك مفهوم الأصولية وتمييزه عن الأصولية الغربية، ٢) تقديم فهم تفسيري علمي لحاجة الأمة العربية للإصلاح الديني، ٣) محاولة الاستفادة من التجارب السابقة لبناء منظومة إصلاح جديدة، ٤) يقع التجديد ضمن خصوصيات الإصلاح الديني، وهذا التجديد هو المخرج للامة من كبوّة الماضوية وسيطرة التفسيرات القديمة التي لا تراعي النوازل والمستجدات، ٥) بناء منظومة فكرية تهدف للإصلاح السياسي والديني بما يخدم الامة ونهضتها السياسية، أما (أهمية البحث) فقد شهد الواقع العربي حالة من التراجع الديني بسبب اتهام الإسلام بالردة والرجعية والتأخر والإرهاب، بسبب موجات الأصوليات الإسلامية الراديكالية، وهذا نام عن الجهل بحقيقة الدين، ومحاولة الأخر تقديم صورة رجعية للدين من خلال البروباغندا الموجهة التي يتحكم في رسم صورتها بوسائل الإعلام تظهر الإسلام على أنه أصولية رجعية، وهذه الدراسة تدعي انها تحاول تقديم صورة أنقى للإسلام مما هو متداول في وسائل الإعلام.

سادساً: هيكلية البحث: فقد قسم البحث إلى ثمانية محاور، هي: المحور الأول: الأصولية بين الإسلام والفكر الإسلامي، المحور الثاني: الأصولية بين التجديد والتجميد، المحور الثالث: الأصولية وجدل الإصلاح السياسي والديني، المحور الرابع: الإصلاح الديني: الجهاد والعنف الأصولي، المحور الخامس: لماذا فشلت جهود الإصلاح الديني؟، المحور السادس: شروط الإصلاح الديني، المحور السابع: حاجة الأمة للإصلاح، المحور الثامن: المعالجات الفكرية للإصلاح الديني، إلى جانب الاستنتاجات والخاتمة.

I. المحور الأول

الأصولية بين الإسلام والفكر الإسلامي

قبل الحديث عن الأصولية في الفكر الإسلامي، علينا الوقوف عند دلالتها اللغوية، والاصطلاحية، وفي سياقاتها الغربية بصورة أدق، فكلمة (أصولية) في اللغة مأخوذة من الفعل "أصل" الشيء يوصله أي عاد به إلى الاصول والثوابت[١] وهنا يجب التمييز بين الأصولية في الكتابات العربية والأصولية في الكتابات الغربية، وتشير في الكتابات العربية إلى خلوها من لفظ "أصولية" وترى الموسوعة العربية العالمية إلى الاصولية على انها أتجاه فكري اعتقادي يهدف للعودة إلى الأصول والأسس لدين أو مذهب ما[٢] واصطلاح الأصولية في الكتابات العربية يحيلنا لتاريخ الفكر الإسلامي إذ نشأت ادبيات الأصول الفقهية متأثرة بخصوصية العرق والمناخ البيئي الغربي[٣] أما في الكتابات الغربية فتأتي على أن اساس مذهب الأصولية وهو الفهم البروتستانتي للعقيدة المسيحية، وبالذات في امريكا ومؤداه إنْ الكتاب المقدس معصوم من الخطأ[٤] وأنْ كلمة "اصولي" تعني من الجاري في مصطلحات العلوم الشرعية: أصول الدين، ويقال الأصل: ويقصد به علم التوحيد[٥] وهي حركة راديكالية بدأت كإصلاحية[٦] مثل حركات الإسلام السياسي التي هو الأصولية[٧] في سياقها العام.

بينما يذهب التصور إسلامي إلى أمر مفاده أنْ **الأصولية هي الإسلام** ومن مورده الأصلي لمجرد أنهم يتكلمون مع من حجر الكتاب والسنة، ويدعون إنهم المنبع الوحيد والممثلين لفئة "السلف الصالح" وكل التيارات الأخر هي "مصبات" لا تأخذ إلا شائب وشحيح الدين وما تبقى من موروث وصل متعباً بحيثيات التقادم الزمني والسيرورة التاريخي، وأنهم الأصل ودونهم فروع وهذا يضع الحديث عن "الفرقة الناجية" في المقدمة التي تعتقد أنها الوحيدة فرقة الخلاص الروحي وما وسواها فِرق هالكة لدرجة بات الحديث عن تأميم الإسلام في

---

(١) تقديم: محمد احمد دياب، *الأصولية الاسلامية والأصوليات الدينية الأخرى*، (بيروت: منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، [د. ت])، ص٢١.

(٢) *الموسوعة العربية العالمية*، ج٢، ط٢، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩)، ص٢٥٩.

(٣) ليث مزاحم خضير، "أيديولوجية العنف المسلح في تصورات الأصولية الإسلامية المعاصرة (دراسة نماذج)"، (رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة تكريت، العراق، ٢٠١٦)، ص٢٥.

(٤) شاكر النابلسي، *تهافت الأصولية: نقد فكري للأصولية الإسلامية من خلال واقعها المعاش*، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٩)، ص٨٤.

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٦) مجموعة مؤلفين، *مستقبل الإسلام السياسي: وجهات نظر أمريكية*، إعداد: د. أحمد يوسف، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١)، ص٦٥.

(٧) شاكر النابلسي، مرجع سابق، ص٢٩.

النفوس، وأصبح يُنظر على الإسلام على أنه دين محلي ضيق نفياً للعالمية، والمشكلة إنْ الأصولية الإسلامية تتحدث لنا من منطلق الكتاب والسنة والارتكاز عليهما في تفسير النصوص ومحاولات تطبيقها، لكنها تقف **"وقفات كافرة"** عند القضايا الثانوية وتتجاوز نصوص بائنة وواضحة.

بالنظر لمعطيات الأصولية، وما أسبقنا عليها من وصف أنف، يمكن وضع الأصولية الإسلامية في إطار غربي، كنسي، أي **أن هذه الأصولية وليدة الحداثة وليست وليدة التاريخ** خاصة إذا ما نظرنا إليها في سياقها المطروح على العقل البشري وفق تعريف الغرب لها أو ما تضمنه الفكر الساسي من وصف لها، وأنها نتاج كنسي وليس مسجدي بدرجة أكبر _ مع الهوّة بين المفهومين _، ومن ثم فهي ليست أبنة الإسلام المُبكر، وإنما هي **نتاج القطيعة التاريخية بين الإسلام والواقع** الذي تعرض له الدين بسبب الفقه، أو بسبب تأثير الأفكار الغربية على الواقع العربي، وانهيار متمْرحل بدأ بمرحلته النواة في بروز الملك العضوض في عهد الخلافة الأموية وانتهى بشكل قطعي بانتهاء الخلافة العثمانية وبروز العلمانية الأتاتوركية في الجانب التركي مقابل بروز النزعة القومية العلمانية في الجانب العربي، (القومية العربية) أنتجتها _ أي القومية العربية _ بفعل سياسات العثمنة عقيدة مستمدة من العرب وعائدة لهم، جامعة لهم، مؤلفة بقواهم السياسية والثقافية والاقتصادية هدفها تحرير الأمة العربية تحريراً كاملاً من النفوذ الأجنبي[١] وهي وليدة أوضاع عربية خاصة منها الاستبداد العثماني، الاستعمار الغربي والتجزئة التي مزقت المجتمع[٢] فشكلت مجموعة البشر المتميزة عن غيرها بلغتها[٣] حازت المكانة الإلهية بظهور الإسلام ونبيهُ العربي، وتلامحت بالتصوير الديني مع الأصولية الإسلامية، التي ظلت فكرة وافدة ودخيلة على العرب، بسبب مترجميها وناقليها من مفكرين مسلمين أعاجم وليس عرب، كأبو الأعلى المودودي (هندي باكستاني)، وسيد قطب (الذي ترجع أصوله إلى الهند)[٤] الذي قال عنه (محمد حافظ دياب) أن سيد قطب د. محمد حافظ دياب بأنهُ "ذو الأصل الهندي"[٥]، أي إنْ **الأصولية هنا هي نتاج الإرهاصات السياسية للفكر الإسلامي وليست نتاج للإسلام، كما ليست نتاج للفكر العربي القومي أو الديني منه حتى.**

---

(١) هاني الهندي، *الحركة القومية في القرن العشرين دراسة سياسية*، ط٢، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٥)، ص١٨٧.

(٢) حيدر عبد الله شومان، *الإسلام والعلمانية في العالم العربي*، (بيروت: دار الفارابي للنشر، ٢٠١٢)، ص١٦٤.

(٣) د. سليم ناصر بركات، *الفكر القومي وأسسه الفلسفية عند زكي الأرسوزي*، ط٣، (دمشق: د. د، ١٩٨٤) ص١٦٥.

(٤) حسام كصاي، *إخوان السجون: قراءة في فكر سيد قطب*، (عمان: دار الخليج للنشر، ٢٠٢٣)، ص٢٤.

(٥) د. محمد حافظ دياب، سيّد قُطب، *الخطاب والأيديولوجيا*، ط١، (القاهرة: دار الثقافة الجديدة للنشر، ١٩٨٧)، ١٩٨٧)، ص٨٨.

لا يوجد هناك نصاً تاريخياً أو واقعة أو مروية أو حادثة إسلامية شيء تؤكد لنا بأنْ **الأصولية من التراث والقدّامة؛ إلا ماضوية أفكارها؛** ولا دليل يؤكد إنها من الإسلام أو من الرَعيّل الأول للإسلام إلا اللغة التي يخاطبوننا بها ويتحدثون إلينا بها، ألا وهي **لغة القرون الهجرية الأولى؛ ولغة الفتنة الكبرى** لا غير، ناهيك عن أن مفهوم الأصولية بالأساس هو مفهوم غربي ونابع من بيئات كنسية مسيحية وليست إسلامية، إذ تعرف الأصولية في قاموس المورد على انها "**العصمة**" ببروتستانيتها، بينما يعرفها قاموس أكسفورد على إنها "حركة أرثوذوكسية تقليدية تقوم على **مفهوم مضّاد لليبرالية**"[١]، فانسحبت على الفكر الإسلامي دون أن تنسحب على الإسلام قطعاً.

وأن ما يمكن قوله إن الأصولية نتاج للفكر الإسلامي، **ولدت من رحم ارهاصاته،** وحالاته الاستثنائية المضطربة؛ كالفتنة الكبرى _ مقتل سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ثم سيدنا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) _، الاقتتال بين المسلمين، وليست من الإسلام المبكر أو أصوله الدينية.

ومن ثم يمكن وضع تعريف _ قد يكون إجرائي هنا للتعامل مع المصطلح _ بأن الإسلام شيء، والأصولية الإسلامية شيءٌ أخر مختلف تماما من كل الجوانب والاتجاهات، فالإسلام دين، والأصولية سياسة أو بالأحرى حزب سياسي جديد يطمح لبلوغ السلطة عبر التوظيف للدين في السياسة، وتحويله إلى أداة ووسيلة بدل صفته الإلهية كغاية وهدف، بالوقت الذي يترفع الإسلام عن تلك المغريات الدنيوية والملذات العامة[٢]، فالأصولية تمثل هنا السياسة بكل قواعدها الدنيوية، والإسلام يبقى على قطيعة مع تلك السياسة التوظيفية الاستغلالية للمقدس؛ كوسيلة وأداة لا كغاية وهدف.

II. المحور الثاني

الأصولية بين التجديد والتجميد

يُفهم بأن "التجديد هو استمساك بالأصولية في الدين"، والتجديد هو بناء على الأساس القديم وهو عودة بالدين إلى مغزاه الأصل[٣]، واعتبار ظهور التجديد الإسلامي وما مَثلهُ من إشراقة أمل جديدة لنهضة الأمة[٤]، السؤال هنا: هل فعلت تلك الأصولية ذلك بالفعل في واقعنا العربي الإسلامي؟ بمعنى هل إن الأصولية عنت بالفعل في تجديد الدين والعودة به إلى رَحبّة

(1)The Shorter Oxford English Dictionary (Oxford: Claredon Press. 1955), p.818.

(٢) حسام كصاي، *حقوق الإنسان العربي إلى أين: بحث في مأساة أمة*، (تونس: دار رؤى للنشر والتوزيع، ٢٠١٤)، ص٨٥.

(٣) حسن الترابي، *تجديد الفكر الإسلامي*، (الدار البيضاء: دار القرافي، ١٩٩٣)، ص٨٧.

(٤) جاسم سلطان، *تجديد الفكر الديني بين الصحوة الإسلامية والمؤامرة الغربية*، (القاهرة: منشورات المختار الإسلامي، ١٩٩٥)، ص١٣.

الينابيع الأصل والخلاص به من ربقة الجهل والانحطاط والأمية، إلى عهد السلف الصالح من الأمة، أم إنها تجميد للفكر وتصلب للعقيدة وموت لروح الإيمان وإخراج من دائرة التعبد؟؟

لعل أخطر ما نواجه اليوم كعرب ومسلمين هو **ضُعف أواصر الدين بيننا**، ومن ثم ضعف العلاقات الدينية في مجتمعاتنا الإسلامية وبالتالي انحلال رابطة العلاقات الاجتماعية برمتها، وبمجرد الحديث عن تجديد ديني هو دلالة واضحة على أن الدين الحالي **صابته القدَّامْة في الصميم**، وبنت على أبوابه ونوافذه عناكب الماضوّية وتخللهُ مخلفات التأويلات القديمة التي لم تعد صالحة لتجميل واجهة الشريعة، واستأثرت به وهيمنت عليه عقليات دينية مغلقة، تعتقد إنْ الإيمان بالله يعني **الحنين إلى الماضي** والتشبث بتلابيب القدامة وهذا التصور اختار مسالك غير صحيحة للأمة سارت به للتطرف والعنف على يد مواطنيه، وجعل الإسلام في حالة تزّاجع كعقيدة وإيمان في النفوس، وكمنْهاج للحياة، كوازع ديْني وأخلاقي، كسلطة روحية، كالتزام اخلاقي، وهذا ناجم عن سببين باعتقادنا:_

١_ بفعل التقادم الزمنْي مع عجز التفسير (أو التّفقه) والتجديد في التفسير والاعتماد على **تفسيرات الموتى** فقط.

٢_ ربّط **الغرب الكولونيالي أضافة إلى الأصولية الإسلامية الرّاديكالية** بين صورة الإسلام وصورة الإرهاب.

الأمر الذي جعل الكثير من الناس _ بما فيهم المسلمين _ ينفرون عن الإسلام ليعبرون على خط الإلحاد المغاير لخط الإيمان؛ كرّدة فعل، وتبرئة لهم أمام الحاجب والأخر لإظهار جانب البراءة من ممارسات ألصقت بالإسلام زوراً، ولاعتقادهم الخاطئ بأنْ القتل والعنف والتطرّف من الإسلام وليس من الأصوليات الإسلامية الرّاديكالية، فخلقت "غيتوات إسلامية" اخل الإسلام، وإسلاموفوبيا بين المسلمين أنفسهم!

وما يدفع به القول هنا أن أبرز العوائق والموانع التي حالت دون إحداث نقلة نوعية _ تجديدية في الواقع العربي الإسلامي هو **الجمْود الفكري والمجتمعي** الذي منع التجديد وحارب إرهاصاته وقمع نواته الأولى واحتقر كل القوى التي تنادي به[١] وباعتقادنا إنْ **الأصولية هي من يُمثل هذا الجمود** من خلال جمْلة طروحاتها، كاحتكار الاجتهاد، الهيمنة على المؤسسة الدينية، الدعوة لتأسيس دولة لم تتوفر شروطها "دولة فنتازيا"، ضعف الاندماج بالمجتمع، والتماشي مع الواقع، تسيير فرض الجهّاد _ كمفهوم وكعقيدة _ حسب مشيئتها وفتواها، تحويل السُنن إلى نصوص والنصوص القطعية إلى سُنن بهجرها أو تجاوزها، أو تفضيل السُنة على

(١) محمد محفوظ، *الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل*، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩)، ص١٥.

النْص أو الكتاب، لكن هذا لا يعني إنْنا ندعو إلى حجر التجديد أو قمعة أو تجاوزه بالمرة، **فالحركات الأصولية الدينية ليست بالضرورة هي الحركات التجديدية ولا تتمتع بنص ديني مُقدس خصها الله بالتجديد، لرّب شخص يقوم به أو جماعة أو مجموعة من الناس، فالتجديد سندهُ الكتاب والسُنة،** أما المُجدد فلا سند ديني له وإنما هو جهد عقلي شخصي مبذول وليس بالضرورة كل جهد فردي لعالم هو إناطة وتكليف لمهمة الإصلاح، فالإصلاح منبر لكل أمرئ مسلم، وليس في الإسلام تفضيل لسيد على عبد الناس هنا سواسيه، مثلما لا وساطة، فالسلطة والخلافة والحكم والسياسة في الإسلام لا تبت بالمعنى الكنسي ولا بأصولياته البروتستانتية الأولى، وهو ما ذهب إليه الإمام (محمد عبده) قوله: "ليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة الى الخير والنفير عن الشر، وهي سلطة خولها الله _ عز وجل _ لأدنى المسلمين يقرع بها أعلاهم ،كما خولها لأعلاهم يتناول بها من أدناهم[١]، وكل ذلك هو بمثابة دعوة شرعية بشرية لضرورات التجديد وإعادة تفسير النص من جديد بما يناسب واقعنا العولمي؛ الغاية منها نهضة الإسلام، والتي تعني نهضة المسلمين بالمرّة.

III. المحور الثالث

الأصوّليَّة وجدل الإصلاح السياسي والديني.

لا يمكن للأصولية الإسلامية اليوم أنْ تخرج عن دائرة المدرسة السلفية (الجهادية) خاصة منها، إحدى مدارس ونماذج التيارات السياسية الإسلامية المعاصرة في الإصلاح السياسي والديني، التي تقيم مواقفها العقدية بشكل رئيس على معياري **قاعدة الكفر والإيمان والولاء والبراء؛** كما إنها تعتمد بشكل مفصلي على **مبدأ الجهاد** (القتال) كحل أمثل في مواجهة الأنظمة العربية الحاكمة، واعتزال المجتمع[٢]، على غرار العزلة الشعورية لسيد قطب ومصطفى شكري، فالإصلاح عند الأصولية في هذه الحالة يتبلور من خلال نافذة الجهاد، القتال، الموت، الحروب، الفتن، القلاقل ... إلخ. اعتقاداً منها إنْ الجهاد هو الحل في عودة الأمة إلى عصر الذهبي "النبوة" أو خلافة الراشدين كنهج نبوة دون تقديم إجابات مُقنعة حول آلية العودة لذلك العصر، الذي تصعب مهمة العودة إليه لأسباب سيرورة تاريخية وحقائق معيارية، فيما لا يتطلب في العودة أقوال وخطابات وإنما ممارسات عملية لواقع ملموس، لا شك في إن ضُعف وانحطاط الأمة ناتج عن جفاء الدين، لكن بالوقت نفسه هذه العودة ليس حلاً

(١) د. محمد عمارة (تحقيق وتقديم)، *الأعمال الكاملة للأمام محمد عبده*، الجزء الأول، (القاهرة: دار الشروق للنشر، ١٩٩٣)، ص١٠٦.

(٢) د. محمد العبد الكريم، *صحوة التوحيد: دراسة في أزمة الخطاب السياسي الإسلامي*، ط٢، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٣)، ص١٤٥.

للانحطاط بقدر ما هي "سوبر انحطاط"؛ لأنها قائمة على تفسير آحادي وتجاهل لإعمال العقل.

فالإسلام دين عقلاني بما ذهب إليه الدكتور محمد عمارة، جاء ذكر العقل في القرآن (٤٩) موضعاً، وقد بلغ العقل المكان العالي في الإسلام وارتقى الإنسان إلى مرتبة متقدمة من التطور ما لم تشهده أي شريعة سبقت نبي الأمة محمد (ﷺ)[١]، قدم فيها الإسلام العقل على النقل لا تقديم تشريف بل تقديم ترتيب[٢] وأن التدّين السليم لا يرفض العقل ولا يتنكر له مطلقاً وانما يقدمه بخير تفضيل[٣] لسبب بسيط هو إن العقل أداة للنظر والبرهنة والاستدلال[٤] فعودة الإسلام أو تجديد مساره مرتهن بالعقل وإعمال العقل لا بثقافة الديكور والشكليات، النقل وحده لا يكفي، والتراث لا خلو من السلبية أو على الأقل أن التراث صلُح لمرحلة زمنية دون أن يعني تعميم صلاحية لكل مرحلة تاريخية جُملةٍ واحدة، ناهيك من أن التراث ينطوي على جانب مُقدس وأخر دنيوي لا ضير من نقدهُ ومراجعتهُ.

فالإسلام جوهر وعقيدة، ومن ثم فإن فعل الخير والصلاح لا يتطلب للشكليات والرموز الإيحائية كالجلابيب الأفغانية والأزياء البشتونية، أو مظاهر الدعة الدينية، وإصلاح الأمة مضامين وجواهر وليست ترف أو مظاهر، أزدها الإسلام في أوروبا وتفوقهُ على الإسلام في الشرق مع تمسك مسلمو أوروبا بالزّي العصري واندماجهم في الحضارة الغربية، إنْ الإيمان مسألة غيبية ومن يحاسبنا على طريقتنا في الحياة فهو كمن يُشكك في عبودية رب السماء، إذ لا يُزكي الأنفس إلا الله؛ ولرُب شهيد لا يدخل الجنة، ولرُب منبوذ يستحبه الله ويغفر له؛ المسألة غيبية لا يعلمها إلا الله؛ ومن يجاهد ضدنا داخل البيت الإسلام؛ هو _ كرؤية براغماتية _ يعمل لصالح الأجنبي ويتحالف مع الخارج ضدنا لهدّم مساجدنا وحرق مصاحفنا باسم الجهاد وهي الكلمة التي أخذت تعني الحرب الأهلية والاقتتال الطائفي بمنظور الأصوليات الدينية المقاتلة في البيئات العربية.

فأنا لا أتحدث إلا من رؤية براغماتية لقناعتي التامة بمبدئها العام كونها تنظر للنتائج ولا تنظر للمسببات، كيف لا ونحن محاطين بمؤامرة كبيرة وخندق يحفره لنا الأصدقاء والأعداء تحالفاً خفياً، فالإسلام والقيم العروبية الأصيلة هي محط أنظار خصومنا اليوم؛ **والمعيب والمؤلم إنْ الأصولية ما زالت لا تفهم الدرّس أو لا ترغب في تعلمه،** وتُصر على إصلاح حال الأمة عبر الشروع بالقتال الشرعي والدم والإرهاب، وهذه ليس مشكلتها وحدها، بل

(١) د. محمد عمارة، *التراث والمستقبل*، ط٢، (القاهرة: دار الرشاد ، ١٩٩٧)، ص١٥٧.
(٢) د. محمد عمارة، د. فؤاد زكريا، *أزمة العقل العربي*، (القاهرة: دار الأفاق الدولية للنشر، ١٩٩٣)، ص٣٤.
(٣) د. عبد العزيز كامل، (وآخرون)، *المسلمون والعصر*، (الكويت: سلسلة كتاب العربي، ١٩٨٧)، ص٩٦.
(٤) د. محمد عمارة، *ازمة الفكر الاسلامي*، (القاهرة: دار الشرق الاوسط، ١٩٩٠)، ص١٢.

مشكلتنا قبل مشكلتها، لأننا أفلتناها من أيدينا **وكان بإمكاننا إصلاح العقل الأصولي** وترويضه لجعله عقلاً مُبصراً متنوراً ناضجاً مُنتج لا مُستهلك، وإنْ الفرصة ما زالت قائمة لتقويمه أو ترويضه؛ وأتذكر **مشروع نيكولا ساركوزي وزير الداخلية الفرنسية في حكومة جاك شيراك** حينما إنه زار إلى أحدى الضواحي الباريسية للقاء بالإسلاميين المتشدّدين هناك (الإخوان المسلمين والأصوليين)، وتعرض وقتئذ لحمله دعائية شرسة من الفرنسيين، ومن الإسلاميين العقلانيين على حدٍ سواء، وكأنها زيارة مثلت بكونها لطمة موجعة لـ **"المسلمين العلمانيين"** أو المسلمين المعتدلين حتى، كونه فضل الأصوليين عليهم، ومن بين الفرنسيين الباحث المعروف _ "بحياديته" و"موضوعيته" في تناول قضايانا المعاصرة _ والمختص بالحركات الإسلامية (جيل كيبيل)[١] خبير خبراء قضايا العالم العربي والإسلامي في حين قال الإسلاميين العقلانيين إنه تناسانا وذهب إلى الحد بهم للقول: "لو أننا أرخينا لحانا أو لبسنا الحجاب لاهتمت بنا الدولة أكثر!"[٢]، لكن ساركوزي كان موفقاً في توجهه هو يعلم حجم تلك الجماعة _ الأصوليين المتشدّدين _ **وإهمالهم وتجاوزهم سيجعل منهم آفات متوّحشة تثير البلبلة في المجتمع الفرنسي خصوصاً وهي ضواحي أهله بالسكان يسكنها الفقراء والمعدومين والبؤساء من العرب والمسلمين؛ وغالبيتهم من أفريقيا وشمال أفريقيا وأفريقيا السوداء؛** وهذا التجاهل هو الذي صنع الأصولية المتطرّفة في العالم العربي الإسلامي اليوم لعدم احتوائها لتجمعاتهم، وترشيدها، واستيعابها عن طريق التوعية، التوجيه، الإرشاد، الإصلاح الذاتي، ذلك لجشع النخب العربية الحاكمة من جدية التنازل عن قليل من الثروة للحفاظ على الكثير المتبقي والمتدفق في بنوكها وحاشيتها.

ومن ثم هي لم تخسر بعد، إلا إننا جميعاً خسرنا أمة بكاملها ومشروعها وتنميتها ونهضتها، فالأصولية لم تخرج من كهوّفها المظلمة لو شعورها بالعار وهي صامته وقابعة أمام هذا الإذلال والمواكب الفارهة والمراسيم المهيبة تمخر عبابها؛ والصبية أبناء العوائل الحاكمة يتلاعبون ببيت مال المسلمين وثروات البلاد، فيما "ساركوزي" بسياسته الوقائية (التحاملية ربما) فرنسا بعض الشيء باحتواء هذه الطبقة اللاهوتية التي لا تعرف إلا القتل والدم وجعلها تقبل الحياة مقابل التخلي عن العنف والدم.

أن الأصولية تقف بوجه النهضة والتقدم وإن كانت ترفع لواء الإصلاح الديني والسياسي لأنها لم تجد آلية مقبولة لذلك الإصلاح، وأنها عوّلت على طريقٌ وعر قد يُكلفنا حياتنا جميعاً من أجل الإصلاح أعني الجهاد ضدنا كمسلمين، فما قيمة الإصلاح إذا الشعوب تُقتل! ما يُبعد أو يُشكك بمُهمة الإصلاح الديني عن الطريق الأصولي هو أنها ترفض مبدأ الديمقراطية أولاً، حتى لو كانت شورى إسلامية، فالشورى أول ضحايا التطرف الديني الذي ظهر بُعيد الفتنة

(١) مختص بالإسلام العربي، عكس مواطنه أوليفييه روا المختص بالإسلام الأفغاني والإسلام الباكستاني.
(٢) د. هاشم صالح، *معضلة الأصولية الإسلامية*، ط٢، (بيروت: دار الطليعة للنشر، ٢٠٠٨)، ص١٦٨.

الكُبرى التي عصفت بالمسلمين واغتيال الخليفة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) هو جهاد أصولي مارستهُ تلك الطائفة التي أرادت إصلاح حال الأمة عن طريق الجهاد أو القتال!

مع الملاحظ إننا لم نشهد أي محاولة إصلاح ديني حقيقية بعد محاولة الشيخ جمال الدين الأفغاني الذي قدم رؤية تنويرية لإصلاح حال الأمة وأُحبط مشروعهِ لأسباب معينة، وبالتالي فالإصلاح الديني ما زال مشروعاً لم يبدأ أصلاً في العالم الإسلامي وأعتقد أن مرحلة ما بعد الإصلاح الديني ضرورية وإن كانت تحت مُسمى "النهضة العربية"[١]، فما هو قائم ويحدث هي مجرد إصلاح سياسية أو دستورية وعمليات ترقيع في الواقع العربي الإسلامي، وليست تغييراً جذرياً، حتى ما يُسمى بـ "ثورات الربيع العربي" _ إن أعطينا لها طابع ديني _ هي لم تغير الواقع وإنما غيرت العناوين الشكلي فيما ظل القمع والاستبداد والهيمنة والإقصاء قائماً بدينامية، وبالتالي أفلتنا عصر الأنوار منا الذي هو بارقة الإصلاح الديني والسياسي على حدٍ سواء، وتمسكنا بنص الجهاد قتالاً بدون مواربة.

IV. المحور الرابع

الإصّلاح الدينْي: الجهاد والعنف الأصولي

يُعرف الجهاد بأنهُ لفظٌ مشتقة من كلمة جهد والذي لفظ في اللغة الفرنسية للدلالة على الجهد اللاإرادي واللاشعوري، ويعرفهُ "هيوم" بأنه الجهد العضلي الذي نحس به[٢]، بينما يميز "وليم جيمس" بين نوعين من الجهد: عضلي وعقلي، بيد أن كلمة الجهاد تعني في الأصل الدعاء إلى الدين الحق، وهذا التعبير لا يقتصر على استخدام القوة والقتال سبيلاً إلى هذا الدعاء[٣]، عضلياً أو عقلياً، ولا تنطوي على فهم واحد أو تأويل حدي صارم، فالجهاد مفهوم متطور ومتغير ومتبدل، وبالتالي نؤكد هنا على ضرورة إعادة صياغة المفهوم؛ وتفكيك خطابه دينياً وسياسياً، لأن تجميدهُ وإحاطتهُ ببراويز الماضوية والتراث وعدم فكر أقفال تأويله جعل منهُ تعبيراً حقيقياً للعنف والإرهاب والقتل.

(١) الفارق أن مفهوم الإصلاح الديني يعطي طابع إسلامي متدين نوعاً ما مع اختلاف نسبية التدّين داخل كل فئة أو تيار، بينما مفهوم "النهضة العربية" فهي لصيقة بالفكر القومي أو العلماني، وتعطي انطباع مدني للتغيير .

(٢) نقلاً عن: د. مراد وهبة، *المعجم الفلسفي*، الباب جيم، ط٦، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥)، ص٢٨٤.

(٣) عبد الوهاب الكيالي، *موسوعة السياسة*، ج٢، (بيروت: المؤسسة العربية للنشر، ١٩٩٤)، ص١١٣.

وهنا قد نتساءل هل الإصلاح الذي تقوم به الأصولية الإسلامية هو فعلاً إصلاح حقيقي، أم هو ضرب من الوّهم يخالجهُ الأماني المتخيّلة، من خلال الحلم باليوتيوبيا (المدينة الفاضلة) في سياقها الإسلامي _ أي الرجوع إلى عصر الإسلام المبكر _، ضرباً من ضروب التمني، خصوصاً وإنْ الأصولية الإسلامية تتبنى الجناح الثوري (الرّاديكالي) بأشرس عناوينه، وباستغلال تام لمفهوم الجهاد وفي غير محله، وهو ما يمكن القول بأن **الإصلاح الأصولي اليوم هو إصلاح رّاديكالي بالضرورة**، وهذه هي هنْته ومثلبته الأكبر، ومن ثم فهو يقترب من مفهوم الجهاد على الطريقة الأفغانية اليوم؟

لقد عرفت أوروبا في القرن السادس عشر الإصلاح الرّاديكالي مباشرة بعد الإصلاح الكاثوليكي والإصلاح البروتستانتي ويسميه البعض الإصلاح الثالث أو الإصلاح اليساري، ولا يعتمد هذا الإصلاح على نصوص الإنجيل بل تعداها إلى الاجتهاد في البحث الجذري **لمُعضّلة الكنيسة**(١)، فهل أصبح العرب أكثر مقاربة للغرب؛ وهل نعيش اليوم لحظة **"الإصلاح الثالث"*** في البيئة الغربية، أم إننا ما زلنا **في الإصلاح الإسلامي: كاثوليكي أو بروتستانتي** من حيث الحقبة الزمنية أو السيرورة التاريخية للأحداث التي يمر بها العرب موازاة للأحداث والمراحل التي مر بها الفكر الأوروبي الغربي، الحقيقة أن الإصلاح في العالم الإسلامي لم يصل لمرحلة الكاثوليكية الإصلاحية حتى اللحظة، الواقع المرير قد يُجبرنا إلى الطفر مباشرة إلى مرحلة بروتستانتية إسلامية للتخلص من شوائب الترهل والانحطاط الذي بُليت به الأمة الإسلامية حتى يومنا هذا.

حيث يعيش العالم العربي اليوّم تحت ضغط العوامل الخارجية، مضطراً أو مجبوراً؛ أو مخيراً غير مسيراً _ حتى خيارات المتّاحة مرّهونة بشروط وضوابط فوقية _، بين **ثلاث محاور: الجهّاد، الإصلاح، والعنف الأصولي**، والقراءة المعمقة قد تتيح لنا بعض المسلمات إزاء حال العرب والمسلمين في هذه الخيارات المُتاحة أو المطروحة بصيغة الأمر من الخارج إلى الداخل، وهو أمر زاد من حدة الخلافات وعمْق الفجوة بين العرب لا أنْ مكنهم من التطّلع لغدٍ أوسم.

وبما أنْ الإسّلام فرض الجهاد، وأكد على الإصلاح والتجديد، فإنْ الأمر أصبح أكثر خطراً على المجتمعات العربية، _ دون النظر إلى الإسلام كمسبب في هذه الأزمة وإنما في المسلمين (الإسلاميين تحديداً) _، فالفضل في ذلك يعود للإسلاميين كتيارات وجماعات كان لهم السبُق في تغيير مسالك الإسلام إلى غير جهتها والسير به إلى خيارات مُقحمة لا تعطي أريحية

(١) المرجع نفسه، ص٢٠٧.

* يريد به الإصلاح اليساري الذي قامت به الأجنحة اليسارية في مواجهة إخفاقات الإصلاح البروتستانتي، والإصلاح الكاثوليكي، إصلاح قائم على مدنية واضحة، تهون من مكانة الدين، أو تجرده من صلاحياته.

للتسامح الذي جاء به الإسلام، فالإصلاح الديني هدفه محاولة رّد الاعتبار للقيم الدينية في الإسلام[١] وترّميم النفس البشرية وتطهيرها بالإيمان الصادق والنهل الدافق، لكن ما نوع ذلك الاعتبار وكيف تم، في الوقت الذي لم يُقام **طقس الجهاد** وشعائره في محله، جاء دائماً مخالفاً للشريعة ومتوافقاً إلى حدٍ ما مع **الأيديولوجيا الدينية**، والإصلاح لم يتحقق بما هو إصلاح ديني إسلامي، غالباً ما جاءت دعواته تقليداً للغرب لا تطبيقاً للإسلام تارة، أو شعاراً يُستخدم الجهاد للنضال ضد الاستعمار[٢] تارةٍ أخرى، فجهاد اليوم يعيد للأذهان صورة الحروب الصليبية تجاه المسلمين، ويشبه إلى حد ما فعله الصليبيون في العالم العربي والإسلامي _ وليس صورته الإسلام المبكر الذي جاء بالفتح الإسلامي، ونشر الرسالة المحمدية بالتي هي أحسن وهي أقوم _، وهو الذي اوقعنا في مشكلة كبيرة وكارثة حلت بالعرب والمسلمين، ونتج عنها ما لا يُحمد عقباه.

وأخطر ما نتج عن ذلك التّرابط هو **تنامي ثقافة العنف الأصولي**، فأصبح **القرآن كله مُختصر بآيات السيف**، والقتال الذي يعني الجهاد في سبيل الله، والتطرّف الديني هو وسطية الأصولية، **والسيف الصارم هو الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة**، وبالتالي أصبح تجديد الدعوة الإسلامية تتم في ظل ظروف غامضة وعصيبة أصبح فيها الاستثناء قاعدة، في ظروف يتم التجاوز فيها على قيم الرّب والسماء من أجل مرّضاة قادة الأصوليات الدينية وأمريها، كيف لا وهناك شُبه أجماع بين الباحثين العرب والأجانب الانقلابية على أنْ العنف خصيصة أساسية من خصائص الإسلام السياسي[٣] الذي يفتّل ذراعه للإصلاح الديني بدون مواربة، لتحقيق شروط الإسلام فيما يتعلق بموضوع الإصلاح الديني ظناً منهم إنْ الإصلاح طرف معادلة لا تتم إلا بطرفها الغائب وهو الجهاد، فالأمة الإسلامية وما وصلت له من مألات وأزمات وتردّي وانحطاط بحاجة لثورة دينية أو إصلاح ديني وهو ما يُفسر طروحات **سيّد قطب وصالح سرّيه والظواهري، محمد عبد السلام فرج**، والأخير جاء في مؤلفه (الفريضة الغائبة)، وكتب قطب في سبيل العنف من أجل الإصلاح (معالم في الطريق)، وفرسان تحت راية النبي للظواهري، وكثيرون من أصحاب هذا الرأي.

بمعنى أدق أنْ الجهاد وفق السيّاقات الأصولية هو مختلف تماماً عنه في الإسلام الذي لم يأتي بالجهاد إلا في شروطهُ وضوابطهُ، ولم يعلنه إلا في حالة الدفاع عن النفس ورّد الأذى، والدفاع لا الهجوم، وتعسر (أو تعذر) نشر الدعوة الإسلامية بالموعظة الحسنة، في حين **صار**

(١) زكي الميلاد، *الإسلام والتجديد: كيف يتجدد الفكر الإسلامي؟*، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨)، ص١٢٤.
(٢) أوليفييه روا، *الجهاد والموت*، ترجمة: صالح الأشقر، (بيروت: دار الساقي للنشر، ٢٠١٧)، ص٢٥.
(٣) د. رضوان السيد، د. عبد الألة بلقزيز، *أزمة الفكر السياسي العربي*، ط٢، (دمشق: دار الفكر للنشر، ٢٠٠٦)، ص٣٦.

الجهاد في ظل الأصولية وقيم الإسلام السياسي فهمٌ يسّبق الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، واختصار كل سور القرآن بثمة آيات السيف؛ بمعنى أخر: أصبح إصلاح المجتمع على الطريقة الأصولية يتبلوّر بالعنف والقتل والفوضى الخلاقة والطائفية والحروب الأهلية وتقسيم الدول العربية وتمزّيقها إلى دويلات قائمة على أسس طائفية ومناطقية عاجزة وضعيفة، فهل هذا هو الإصلاح الديني المنشود من الإسلام السياسي بأصوليتهُ وسلفيتهُ.

ويمكن عقد مقارنة بين الجهاد في الإسلام، والجهاد في الأصولية الإسلامية:_

_ **أولاً: من حيث المصدرية**: الجهاد في الإسلام: قائم على الكتاب والسنة، والجهاد في الأصولية الإسلامية قائم على كتب الفقه والعقيدة، وتفسيرات القرآن وليس القرآن نفسه بالضرورة.

_ **ثانياً: من حيث المكانة**: ركن وعقيدة، أي غاية وهدف، أما الجهاد في الأصولية الإسلامية فهو طقس وشعيرة، أي أداة ووسيلة.

_ **ثالثاً: من حيث الهدف**: الجهاد في الإسلام يهدف إلى تحقيق الفتوحات الإسلامية، ونشر الدعوة إلى الله، وما أن انتشر الإسلام أنتفت الحاجة للجهاد في الإسلام للحرب وتوقفت الفتوحات، أما الجهاد عند الأصولية الإسلامية فهي احتلال وغزو وإغارة بلا هدف سامي.

_**رابعاً: من حيث السيادة**: الجهاد في الإسلام يهدف إلى وحدة الأوطان الإسلامية والذود عنها، أما الجهاد عند الأصولية الإسلامية فهو قائم على هتك سيادة الأوطان، بوصفها حدود سياسية وضعها الاستعمار بين المسلمين ويجب إزالتها.

_ **خامساً: من حيث العدو**: الجهاد في الإسلام فأن العدو هم الكفار والمشركين وهو جهاد قائم على مواجهتهم لأجل الإسلام، وحرب واحده خاضها سيدنا أبا بكر (رضي الله عنه) ضد المرّتدين، أما الجهاد في الأصولية الإسلامية فأن العدو هم المسلمين غالباً، وهو جهاد قائم بين المسلمين سُنة ضد سُنة، وسنة ضد شيعة، ومسلمين ضد مسلمين، وبالعكس، وعرب ضد عرب، مثل الحرب العراقية – الإيرانية (بلدان مسلمان) زهاء ثماني سنوات، التدخل العراقي في الكويت عام (١٩٩١م)، فيما لم تجابه أي أصولية إسلامية العدو الصهيوني أو تطالب بالقضية الفلسطينية على المستوى الميداني (القتالي).

V. المحور الخامس

لماذا فشلت جهود الإصلاح الديني؟

ثمّة أسباب عرقلت مسيرة الإصلاح الديني في العالم العربي والإسلامي، رغم مُرور أكثر من قرن من الزّمن على دعوات الإصلاح والنهضة والتجديد وبروز مشايخهّا ودُعاتها وحاملي رسالتها، إلا إنها ما زالت دون المُرّتجى أو الطموح، ولم تحقق رُبع ما حققه الإصلاح الديني في أوروبا أو غيرها، ولا ندري أين تكمن علة ذلك، ومن هنا نجد الضرورة الإنسانية والأخلاقية تفرّض علينا تناول هذا الموضوع بحيادية ومنهجية معرفية تامة لرّصد أسباب فشل التحوّل نحو الإصلاح (أو تحقيق الإصلاح الديني).

وقد حاولنا توضيح صوري لأبرز الأسباب والمثبطات التي عرقلة عملية الإصلاح الديني في الحالة العربية، وهي:_ ١_ أنها حركة **وفكرة أوروبية قرسطوية، وليست عربية أو إسلامية** بالمرة فلم تنبثق من واقعنا العربي والإسلامي وإنما جاءت وفوداً واستيراداً من **البازار الغربي** وبالتالي كانت محكومة بالفشل مُذ البداية؛ لأن الآليات والسبل والطرائق أجنبية المنشأ ومختلفة تماماً عن الواقع وطبيعتهِ، ٢_ إنْ الإصلاح **تناول المؤسسات والمباني والمقرات والدوائر** في حين تجاهل العقول والناس والاشخاص، وهذه مقدمة مجانية لفشل الإصلاح الديني في الوعي العربي الإسلامي، ٣_ **غيّاب الآليات والسُبل في تحقيق الإصلاح واختلاف الرؤى** البعض يريد تجديد الدين وفق الرؤية الأصولية راديكالية أو سلفية جهادية تحتكم إلى القتال والجهاد، وأخر يريدها وفق منظور حزبي سياسي ذو مرّجعية دينية معينة، وأخرون ينظرون للإصلاح من منظار قومي نهضوي علماني، وأنْ تعدد الرؤى للإصلاح ومن زوايا متعددة "أربك" مشروع الإصلاح وجعله يتخبْط فكرياً وسياسياً، في حلبة من الصراع السياسي، ٤_ **تشتيت الهدف والغاية من الإصلاح**، لقد أصبح الهدف من الإصلاح هو الهيمنة واحتكار المؤسسة الدينية واحتكار النص الديني والتحكم بموضوع الاجتهاد وتفسيرات النص، وبالتالي أهمْل الإصلاح الديني قطعاً، وصار التفكير بما يدره توظيف الإصلاح من مكاسب وثروات، أضف إلى ذلك اختلاف الهدف نفسه، فكل حزب وحركة بدأت تنظر إلى الإصلاح من زاوية حزبها، فاختلفت الاهداف كلها في هدف الإصلاح حتى فقد مشروع الإصلاح قيمته، وتخلى عنه الجميع لصالح المنافع الشخصية والحزبية، ٥_ بعد الشيخ الأفغاني والإمام محمد عبده غالباً ما تمت علميات الإصلاح الديني عن **طريق الحركات الإسلامية وليس عن طريق الأشخاص** وبالتالي فلهذه الحركات برامجها واجنداتها مثل حركة الإخوان المسلمين وغيرها ومن ثم يستحيل أنْ يتجدد الدين ويُصلح على يد حركة حزبية تضع النفوذ والمال والثروة نصب اعينها، أضف إلى أنْ الحركات الإسلامية غير جديرة بذلك أصلاً لأسباب موضوعية وتاريخية لسنا بصدد سياق توضيحها، ٦_ **تحوّل الدّين إلى سياسة؛**

بمعنى أنْ عملية تسييس الدين كان سبباً مقنعاً لفشل الإصلاح، أي **فالدين لا يتأدلج، ولا يُسيس**، الدين ينهض ويتجدد ويستمر والسياسة تريده تابعا لدولتها؛ والأيديولوجيا تريده وسيلة لغاياتها، ومن هنا فشل الإصلاح بسبب تبدل الدين وتحوله إلى **سياسة دغماجية وإيدولوجيا مزّيفة**.

VI. المحور السادس

شروط الإصلاح الديني

يُعد تناول شروط الإصلاح الديني _ كمدخل لإنجاحهِ أو على الأقل المدّخل لقراءة علمية اكاديمية لموضوع الإصلاح الديني من باب الدين (الإسلام) وليس من باب التدّين الشعبي (الأصولية) _ من المهام البالغة الخطورة على مجتمع له خصوصية مميزة وفريدة للنظر في علاقة الدين بالدولة تتجاوز العلمنة كفصل والثقرّطة كدمج، وبالتالي فاستيراد نماذج إصلاحية لترقيع الواقع العربي والإسلامي لا نعتقد بأنها مجديه بالمرّة، ومحاولات الإصلاح السابقة كانت في أغلها "مزيج" من هذا الاستيراد للقيم _ دون أن نمانع الاستفادة من علوم الغير لكن شرط مراعاة البيئات المختلفة وعدم جرح الشريعة الإسلامية أو خدش حياء الثقافة العربية _ بينما نعتقد إنْ العالم العربي يرفض بمجمله الإصلاح على الطريقة الأصولية أو الإصلاح القادم على صهّوة الحركات الإسلامية (الرّاديكالية منها تحديداً وعلى الأقل) كخيار وحل للإشكال اليوم، _ ما خلا فئة أقلوية _، ولهذا الرفض نحاول أنْ نجد له بديلاً، ولا شك في أننا ننظر ونتأمل ونتطلع لبديلاً قومياً لا دينياً، نهضة عقلانية معاصرة ومتزنة تحقق شرطين أولين: تستعيد كل ما خلفته وصادرتهُ الحقبة الإسلاموية من التراث الإسلامي الوسطي من جانب، وتتجاوز أخطاء القومية السابقة برنجسيتها ورومانسيتها من جانب أخر، وهذا يتحدد من خلال تناول شروط الإصلاح أولاً، والبحث عن تداعيات وفشل ذلك الإصلاح ثانياً.

ومن أبرز شرّوط الإصلاح الديني التي نعتقد بأنها كافية _ فيما لو توفرت _ لتحقيق العرب والمسلمين وتنميتهم؛ وتحقيق رفاهيتهم، من بيّن تلك الشروط والتفصيلات، هي:_

١ _ باعتقادنا أنْ أول خطوة أسياسية كمنطلق للإصلاح الديني، هو **أنْ يكون الشخص (أو الحركة المناط إليها مهمة الإصلاح) على قدر المسؤولية**، فإصلاح الذات مُقدم على إصلاح المجتمع، شخص نبيل وصادق ومُلم بالاعتبارات الميدانية وأهلٌ للسياسة وذو تبصر بالعلوم الدينية (الشرعية) وذات سمعة طيبة، وإيمان عميق بقضايا الأمة العربية والإسلامية.

٢ _ تجريد مشروع (أو مشاريع) الإصلاح الديني من **النزعة الإيديولوجية**، فهما عملت الحركات التجديدية فستظل ضيق الأفق، أسيرة المفهوم الحزبي في معالجة الإصلاح والقيام

به، لأنها موظفة في دائرة أسمها **"المؤسسة الدينية"** وبالتالي غير قادرة عن تقديم رؤية منطقية؛ فهي حبيسة نافذة أيديولوجية تنظر للأمور والمعطيات والإشكاليات من خلالها فقط، وليس من زوايا متعددة.

٣_ **توحيد الأهداف والشعارات** فكل حركة تجديد أو إصلاح ديني نهضّوي تتبنى اهدافاً مغايرة لمن سبقتها، ومختلفة لمن لحقتها؛ وهذا التغاير في الأهداف مرجعه: المذهب، العقيدة، الفقه، التفسير، والقرآن حمال أوجه كما يقول سيدنا علي بن أبي طالب (كرم الله وجه)، ومن ثم ضيع الأمر علينا هدف الإصلاح المنشود، كما وضاعت الآليات والسُبل في ذلك سبل تحقيق المشروع.

٤_ أنْ يكون الإصلاح **بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة** وما يرافقه من توعيه وتعليم وتثقيف حثيث وليس بالعنف والقتال والإكراه، فلا إكراه في الدين، ولا إكراه في إصلاح المجتمع، والإسلام لم يدعو للتجديد بإشهار السلاح، أو حمل الناس على القوة، واستنهاضهم بحملهم على أسنة الرّماح.

٥_ لا يمكن تجاوز العنصر القومي (العروبة) في مشروع الإصلاح، فالعروبة هي مقوم الدولة العربية الإسلامية، وبالتالي هي **عنصر ارتكاز في مشروع التجديد والإصلاح والنهضة** بما تعنيه العروبة من كونها مشروع سياسي لتكوين وحدة عربية جامعة تكون البذرة والنوّاة لجامعة اسلامية أشمل _ فيما لو رغب العرب بالدخول في مشروع إسلامي كبير هم رواده وقادته بلا شك.

٦_ **الاستفادة من علوم الغير**، فالنهضة الأوروبية سبقتنا؛ وبالتالي من تفيدنا بعض الشيء؛ لكن شرّط أنْ نختار نحن بتقديرات عقولنا الجمعية لا بفرض القيم علينا بالقوة والعافية؛ كأن تكون عن طريق الاستعمار أو الغزو الفكري وعن طريق حملات التبشير، وإنما بما نرغب نحن من تبضعهِ، فليس كل ما هو غربي ضار؛ ولا هو نافع _ بالمرّة _ في مُجْملة.

٧_ **تفعيَّل نشّاط العَقّل**، أي القيام بعمليات الإصلاح عن طريق إعمال العقل وليس إعمال النقل الفج للتاريخ والتراث والماضي العتيق لوحده، وإنما المزواجة بين العقل والنقل، وفهم الأخير على أنه الوحي، والنص المقدس، دون تجاوز ذلك التّراث بالمرّة؛ **فالعقلانية الإسلامية** أكثر استجابة لما نطرّحه هنا (تحالف العقل مع النقل)، كونها قريبة جداً من العقلانية العربية بما هي تصور مدني ينظر للإصلاح على أنه نهضة عربية قومية جامعة للقيم الدينية لا عابرة لها.

٨_ **تجاوز عراقيل واخطاء الماضي والأخذ بالمبدأ الديمقراطي الحقيقي**، والاستفادة من التجارب السابقة للإصلاح، لتكون خميرة ورسمال وفير نعالج به ما يمكن رتقه من تجربة الإصلاح الديني المنشودة والمرتجاة.، فالاستبداد ليس حلاً، بل هو مشكلتنا اليوم، والخيار الديمقراطي لا بديل عنه شرط أن تكون ديمقراطية نابعة من واقع عربي إسلامي ومستجيبة لمتطلباته، لا تتناقض توجّهات الإسلاميين الديمقراطية مع مرجعيتهم الدينية[١] أو ديمقراطية متصالحة مع الدين بفهم (فهمي هويدي) الذي يقول: "تقترب الشورى الإسلامية من روح الديمقراطية، وإن شئت قلت: يقترت جوهر الديمقراطية من روح الشورى الإسلامية"[٢]، أو هي شبيه بالشورى كما سماها (حسن الترابي) بـ (الشور قراطية).

هذه جُملة الخطوط العامة والرئيسة لحركة الإصلاح الديني والتنمية والنهضة والتقدم في حالتنا العربية، أما غيابها (أو تجاوزها)، فهو بالمؤكد سيكون المدّخل الأمن لفشل الإصلاح الديني، التي عرجنا عليها في المحور الخامس، وأوضحنا أبرز مثبطات الإصلاح الديني عند الأصولية الإسلامية في سياقها العربي، بالرغم من حاجتنا الماسة له، فما هي تلك الحاجة التي تفرضها علينا فلسفة الإصلاح الديني؟

VII. المحور السابع

حاجة الأمة للإصلاح

هل ما زلنا بحاجة للإصلاح إذا كان بصيّغة المعروضة انفاً، وهل نمتلك البديل الذي نُغير النزّعة القتالية من أجل الإصلاح الديني في العالم العربي، وهل نقل المفاهيم والقيم الغربية كافية لإصلاحنْا، أم أنها داعمة لشتاتنا وبؤسنا وبغضنا وترديناً، وهو ما نعيشه اليوّم ونحن نتفاخر بفُعلتنا ؟!! .. فأين نحن من الإصلاح الديني الحقيقي؟؟

طالما أصبح الإصلاح **خيار موضوعي** لا مهرب منه لأي مشروع نهضوي عربي لمجتمع أو أمة[٣] ديني قبل أن يكون سياسي، لكن بشروطه وظروفهُ الإسلامية المميزة والخاصة، ومن حسن حظ المسلمين إنْ الإسلام ليس فيه **طبقة "كهنوت"** بالمعنى الكنْسّي الأوروبي، ولا ليس هناك قدّاسة لرجال الدين، بل **وليس هناك رجال دين في الإسلام أصلاً**، _

(١) د. كمال عبد اللطيف، *"الانفجار العربي الكبير"، م. س، د. أمحد مالكي، (وأخرون)، الأنفجار العربي الكبير في الأبعاد الثقافية والسياسية*، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢)، ص٥٥.
(٢) فهمي هويدي، *"الإسلام والديمقراطية"، في: مجدي حماد (وأخرون)، الحركات الإسلامية والديمقراطية: دراسات في الفكر والممارسة*، ط٢، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١)، ص٦١.
(٣) د. عبد الألة بلقزيز، *الإسلام والسياسة: دور الحركة الإسلامية في صوغ المجال السياسي*، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١)، ص١٧٥.

المفهوم هناك علماء دين، وعاظ، خطباء، وليس هناك طبقة كهانة، ولا قداسة للبشر في الإسلام بعد النبي (ﷺ)، وقد يُخطى خلفاء النبي، عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: "أخطأ عمر وأصابت امرأة" وهي الشفاء بنت عبد الله مستشارته في شؤون المرأة حول قضية المهور، وحالات كثيرة، وقُضي الأمر في ذلك دون رجعة، _ ما خلا طائفة أو فرقة دينية من فرق الإسلام التي تعطي العصمة للأمة الاثني عشر الوارد ذكرهم في سيرة آل البيت الأطهار _، إذ لم تتشكل طبقة "كهنوت" تصادر حرية الفكر، خصوصاً وإنْ الإسلام كعقيدة يحبذ البحث العلمي سواء من الإنسان أو الطبيعة؛ لكن هذا العرف المتعارف عليه لم يستمر على طول مسيرة الإسلام الذي تعرض لهفوّات واخفاقات من جانب خصومه ومن جانب أصحابه، حيث إنْ "المجتمعات الإسلامية خلال عصور الانحطاط شهدت مصادرات على العلم باسم الدين؛ وهو مالا يتفق مع جوهر الإسلام"[١]؛ **فما الذي يفسر تأخرنا عن الغرب الأوروبي؟**

يضيف الدكتور محمود إسماعيل: "إذا كانت أوربا _ منذ عصر النهضة _ قد انعتقت من إسار الكهنوت واللاهوت بفضل الثورة البرجوازية التي أسفرت عن "حركة الإصلاح الديني" ؛ فإن شيئاً من ذلك لم يحدث في العالم الإسلامي لحد الآن"[٢]، _ وكأن محمود أسماعيل يعوّل (أو يعقد العزم) في نهضتنا على الاندماج بالثقافة الغربية بكل قيمها الرمزية والروحية، دون تشرط _، ويستمر هذا الغيّاب إلى هذه اللحظة، وإلى تاريخ مفتوح لا متناهي، ما لم نشخص العلة والدّاء ونقدم الحلول الناجعة الحقيقية، **فالعلاجات "الموضعية"** لا تعدو أنْ تكون **مهّدات،** تؤجل الألم لكنها لا تنهيه أو تنكي جراحه، والعلة في خروجنا عن سبّاق التاريخ واللحْاق بالدول المتقدمة والتي سبقتنا هو إننا تأشكلنا وتأزمنْا، كفكر عربي إلى تيارين تحكمنا **"العقلية التخاصمية"**: تيار يلقي اللائمة على الحداثة والتغريب والنزّعة الغربية، وتيار يلقي الاخفاق والإشكال الذي لحِق بالعرب على الإسلاموية والتيارات الدينية وتطرّفها ونزعتها القتالية، فصار الفكر العربي تتقاسمه **"كُرة النار"** كُلٍ يرّمي بها في حاضنة "خصمهُ المحلي"، وبالتالي لا نحن انتصرنا على الإسلاموية وهزمناها، ولا انتصرنا على الحداثة وحجمناها، الأمر الذي جعلنا نُقيّم حتى اللحظة ونعمل في (**الدائرة الرمادية**) الوسطى وهذا بحد ذاته خيبة كبرى للعرب والمسلمين.

وَرُب سائلٍ يسأل بعد موّجة المدّ الإسلامي والعودة الميمونة للدين على صهوة الراديكالية: هل ما زلنا بحاجة للإصلاح، وهل هو ضروري لمجتمعاتنا المعاصرة، وكيف كون ذلك؟؟

_ المحور الثامن: المعالجات الفكرية للإصلاح الديني

(١) د. محمود إسماعيل، *الإسلام السياسي بين الأصوليين والعلمانيين*، (الكويت: مؤسسة الشراع العربي، ١٩٩٣)، ص١٥٠.
(٢) المرجع نفسه، ص١٥١.

يجب التنوّيه هنا إلى أن مفهوم "**الإصلاح الديني**" هو مفهوم غربي النشأة؛ _ لا نعترّض عليه إنْ كان فيه ما ينفعنا أو يُجدد ديننا ودنيانا _ ، لكن للتأكيد فقط على أنْ مفهوم الإصلاح الديني الذي يعني به **العوّدة إلى المسيحية الصافية**[١] فما الذي يُريده الفكر الأصولي من مجتمعاتنا هي يُريد بنا العوّدة إلى المسيحية الصافية أيض؟

فالفكر الأصولي قد يُثير الشكوك بعمليات الإصلاح الديني خصوصاً وإنْ من يتبنى الإصلاح هو ذاته غربي النشأة من حيث الأصول والجذور وإلى أبعد مسيحي الولادة، ونقصد به "**الفكر الأصولي**" وبالتالي فنحن مدّعوين لإبلاغ القارئ والمُتلقي بضرورة النظر بمفهوم "الإصلاح الديني" والدعوة ليس لاستبداله بمفهوم نابع من الفكر العربي والإسلامي لمعاصر وإنما صياغة مضمونه وجوهرة بإيحاءات إسلامية نابعة من واقعنا، يكون أكثر تلبية للتطلعات والطموحات وأكثر استجابة للتحديات التي توّاجه الفكر العربي الإسلامي المعاصر، وفي مقدمتهّا الأصولية والنْهضة والهوية وجدل الدين والدولة وغيرها من التحديات.

لا نقول أنْ ما نطرحه كبديل للإصلاح الديني هو النْهضة فقد يتهمنْا البعض بالتغرّيب ذاته؛ ورجوعنْا للغرب على اعتبار أنْ مفهوم النْهضة كان مرافقاً لحركات الإصلاح والثورة الأوروبية القرسطوية أو المعاصرة رغم قناعتنا بضرورة النهضة العربية بعيداً عن مساوئ الفكر الغربي وتجلياته الجانبية الأكثر ضرراً لمحيطنا الإسلامي، وما نعتقد أنهُ صواباً هو أنْ من الممكن أنْ يكون البديل عن ذلك _ وتجاوزاً لمطبات الاتهام والتشهير والتنكيل _ هو "**الترّميم الديني**" أي مراجعة الذات الإسلامية، فالعلة من الداخل في المنظار البراغماتي بعيد عن نظرية المؤامرة التي لا سند علمي لها، وأن إعادة بناء مفهوم "الإصلاح الديني" والنهضة بقوالب عربية إسلامية خالصة ومجردة من كل ترّهلات الغرب ومؤثرات على المفهوم، بمعنى ألا يخلا بالنص الديني أو يجرحانه، فيما لا يتجاوزا على الذائقة العربية الأصيلة من اعراف وعادات وتقاليد وللأقوام المنضوية تحت هذه العنوان، وهذا هو جوهر ومبتغى فكرتنا بخصوص الإصلاح الديني والسياسي النهضوي الذي نتوّق له دوراً في نهضة الإسلام واستنهاض العرب والمسلمين من كبوّتهم.

نفهم مما تقدم، بحاجة الأمة العربية للإصلاح الديني، كما هو السياسي والاجتماعي والثقافي والتربوي والاقتصادي، وحتى اللغوي _ كما تحدث عنه الشيخ أبو المعالي محمود شكري الألوسي _ ، فالإصلاح وحده السبيل لإمكانية الحديث عن بناء الدولة العربية الوطنية أو القومية، والتي تدرأ الخطر الخارجي، وتثبط من سطوة الدولة دون القطرية، والدولة العميقة التي وجدت في الأصولية الإسلامية سبيل لاختراقها منظومة الامن القومي العربي،

(١) علي يوسف، *المسلمون بين المواطنْة الدينية والمواطنْة السياسية*، (د. م: دار المعارف الحكمية، ٢٠١٣)، ص٧.

وفككت هذا المتبقي من وحدة الشعوب العربية باسم الطائفة والمذهب والملة والمعتقد، كما وعلينا تقديم فهم عصري جديد للأصولية يتجاوز البناء اللاهوتي البروتستانتي أو الصهيوني للأصولية، فهنا بوّن شاسع بين الأصولية الإسلامية والأصولية الغربية، تحاول القوى الخارجية إقحام الأصولية الإسلامية في الشأن العربي بوصفها ومعناها الغربي، لا المعنى الإسلامي الحقيقي.

خاتمة

تبدو أن الحقيقة المُثلى التي توصلنا لها هنا هي كل محاور البحث المتعلقة والدائرة حول مفهومي: الأصولية والإصلاح الديني هي مفاهيم أجنبية ووافدة، أي أنها غربية وليس إسلامية، وبالتالي لا نحكم هنا على وئد مشاريع الاصلاح لمجرد أنها مفاهيم غربية هذا فهمٌ مبتسر وغير صائب، والصحيح هو أن نمضي به إذا كان يُحقق لنا "الربح المعنوي" براغماتياً، ونقصد بالربح المعنوي نهضة الأمة الإسلامية وتقدمها، وبالتالي إنْ الأمة مُعرضة لمزيد من الخطر الداهم، كيف لا وإنها **تُمسك بالمقدس وهي غير طهوره** أو غير مُجازة بحمله أو مخوّلة بذلك، _ مع غياب الإجماع برمتهِ والتوافق بأيةً صيغة _ تحاول توظيفه لصالح سلوكياتها الحزبية دون شعوراً بالخجل مما تفعل، أو على الأقل دون النظر لحال المسلمين اليوم.

ومن ثم فالإصلاح الديني لا يمكن أن يتم عن طريق العنف الأصولي أو الجهاد الإسلامي المتعارف عليه اليوم في سياقهُ المطروح، فهو بالتالي سيؤدي إلى فوضى وفتنة واضطرابات وثورات غير منضبطة أفضت لنتيجة الطائفية والصراعات المذهبية بين المسلمين "حرب داخل الإسلام"، ثم لا يجوز اعتبار العودة إلى الخلافة الإسلامية الأم أو دولة إسلامية بشروطها النبوية أو الراشدية بأنها إصلاح ما لم يُستجاب للواقع _ وهو ما لم يؤخذ به _ والواقع يُفند قيام دولة الخلافة في ظل الوضع الراهن، والقائمين على الأمر ما هم إلا أفراد أو أن عملهم الجهادي هو مجرد نزّعة فردية وأن تبلورت في صيغة جماعة "تنظيم القاعدة"، "داعش"، فالأفراد مستقلين، منحدرين من ثقافات متنوعة ومندمجين في هجين ثقافي جديد يُمثل دين بلا ثقافة، وبالتالي يستحيل إصلاح حال الأمة الديني _ وحتى السياسي _عن طريق الترهيب والعنف والقتال الأصولي لأن الإسلام بالأساس _ جذر الدين _ هو دعوة طوعية نصحوية لا إكراه فيها، ولا سطوة، فالدين النصيحة والهداية عن طريق الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وآيات السيف والقتال حرفت هذا المنهاج الديني من أجل تحقيق مصالحها بحرابة العالم وإدخاله في دّوامة عنف ليس من مصلحة الإسلام اليوم في وضعهُ الحالي الدخول في هكذا معترك.

_ الاستنتاجات

١ _ تبدو الأصولية الإسلامية اليوم أصولية غربية وافدة الأفكار والمعطيات، لم تنبع من الواقع الإسلامي، أي أن الأصولية الإسلامية لم تطرح مشروعها كأصولية بالمعنى الإسلامي، العودة إلى الأصول، بل تقمصت المعنى الحرفي الكنسي لوصفها، كجماعة راديكالية تريد تحقيق أهداف إمبريالية في قوالبها العامة، ووضع المدخلات الإسلامية عليها.

٢ _ لا توجد أصولية عربية، كل الأصوليات الإسلامية هي "أصوليات أعجمية" _ عن جاز الوصف _ ، أبرزهم: أبو الأعلى المودودي وهو هندي – باكستاني، وسيد قطب الشاذلي وهو هندي الأصل كما أوضحنا ذلك في المتن، أثرت واستشرت في البيئة العربية، وبقيت دخيلة، ليس هناك في العالم العربي أصولية أصلية.

٣ _ هناك إمكانية قيام الأصولية الإسلامية بدور إصلاحي، شرط أن تتحلى بثمة مزايا، منها: التخلي عن الخط الثوري، وترك موضوع الجهاد، القتال، الإرهاب، العنف ... إلخ جانباً، والقيام بالاساليب والأدوات الناعمة (Soft Power).

٤ _ يبقى الإصلاح الديني مطلب حضاري ونهضوي للامة العربية، وسبيل لتقدمها، فصلاحية الدين لكل زمان ومكان ليس بنصه وإنما تفسيره وتأويله على محمل الجد، وعلى نخبة (صفوة) من علماء الامة ممن ينطبق عليهم وصف المجددين.

٥ _ أرى أن الإصلاح التربوي _ كما ذهب إليه الإمام محمد عبده مفتى مصر _ لا يختلف عن الإصلاح الديني، بل هو المقدمة الحيوية لإعادة بناء منظومة إسلامية على النهج السليم، منظومة عابرة للطوائف والمذاهب، تبدأ من الإسلام المبكر في مرحلة ما قبل الفتنة الكبرى التي عصفت بالمسلمين ومزقت وحدتهم العقائدية والجغرافية.

٦ _ لسنا ضد الأصولية الإسلامية، لكن ضد سياقاتها الراديكالية، اليسارية، فهي تمثل واقع مرتبك، تريد أن تقحم نفسها بالإكراه، وهي لا تملك وسيلة إقناع، لأنها لم تتسلح بقيم الإسلام، إنما بقيم الفقه الإسلامي إذا جاز لنا الوصف والتقريب.

٧ _ في هذه المرحلة التاريخية التي يمر بها العرب، أجد إن الإصلاح لا يبدأ من الذات، أو على الأقل اعترض على هذه التسمية، فالإصلاح يبدأ من هرم السلطة، والإصلاح الحقيقي يبدأ بقانون وفرمان وقرار حكومي يُكره الناس على الإصلاح، طالما استشرت الفوضى، واختلط الحابل والنابل، والتفاهة بالثقافة، والحرية بالإباحة، وساد الغل وغاب القانون، فالواجب الأخلاقي أن يبدأ الإصلاح من هرم السلطة عن طريق قوانين، قرارات، عقوبات

آنية نافذة تحفظ المثل العليا للدين، وتوظفه بما يخدم نهضة الدولة العربية وتقدمها، من أفعال الخير والسلام، والإسلام لا يعترض على تلك التوظيفات إذا ما تسامت النوايا

قائمة المصادر

المصادر العربية

أولاً: المعاجم

١- *الموسوعة العربية العالمية*، ج٢، ط٢، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

٢- عبد الوهاب الكيالي، *موسوعة السياسية*، ج٢، بيروت : المؤسسة العربية للنشر ، ١٩٩٤.

مراد وهبة، *المعجم الفلسفي*، الباب جيم، ط٦، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥.

ثانياً: الكتب

١- أوليفييه روا، *الجهاد والموت*، ترجمة: صالح الأشقر، بيروت: دار الساقي للنشر، ٢٠١٧.

٢- جاسم سلطان، *تجديد الفكر الديني بين الصحوة الإسلامية والمؤامرة الغربية*، القاهرة: منشورات المختار الإسلامي، ١٩٩٥.

٣- حسام كصاي، *إخوان السجون: قراءة في فكر سيد قطب*، عمان: دار الخليج للنشر، ٢٠٢٣.

٤- حسام كصاي، *حقوق الإنسان العربي إلى أين: بحث في مأساة أمة*، تونس: دار رؤى للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.

٥- حسن الترابي، *تجديد الفكر الإسلامي*، الدار البيضاء: دار القرافي، ١٩٩٣.

٦- حيدر عبد الله شومان، *الإسلام والعلمانية في العالم العربي*، بيروت: دار الفارابي للنشر، ٢٠١٢.

٧- رضوان السيد، د. عبد الألة بلقزيز، *أزمة الفكر السياسي العربي*، ط٢، دمشق: دار الفكر للنشر، ٢٠٠٦.

٨- زكي الميلاد، *الإسلام والتجْديد: كيف يتجدد الفكر الإسلامي؟*، بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨.

٩- سليم ناصر بركات، *الفكر القومي وأسسه الفلسفية عند زكي الأرسوزي*، ط٣، دمشق: د. د، ١٩٨٤.

١٠-شاكر النابلسي، *تهافت الأصولية: نقد فكري للأصولية الإسلامية من خلال واقعها المعاش*، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٩.

١١- عبد الألة بلقزيز، *الإسلام والسياسة: دور الحركة الإسلامية في صوغ المجال السياسي*، بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١.
١٢- عبد العزيز كامل، (وآخرون)، *المسلمون والعصر*، الكويت: سلسلة كتاب العربي، ١٩٨٧.
١٣- علي مبروك، *في لاهوت الاستبداد الديني والفريضة الغائبة في خطاب التجديد الإسلامي*، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤.
١٤- علي يوسف، *المسلمون بين المواطنة الدينية والمواطنة السياسية*، د. م: دار المعارف الحكمية، ٢٠١٣.
١٥- كمال عبد اللطيف، *"الانفجار العربي الكبير"، م. س، د. أمحمد مالكي، (وأخرون)، الأنفجار العربي الكبير في الأبعاد الثقافية والسياسية*، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢، ص٥٥.
١٦- فهمي هويدي، *"الإسلام والديمقراطية"، في: مجدي حماد (وأخرون)، الحركات الإسلامية والديمقراطية: دراسات في الفكر والممارسة*، ط٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١.
١٧- مجموعة مؤلفين، مستقبل الإسلام السياسي: وجهات نظر أمريكية، إعداد: د. أحمد يوسف، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١).
١٨- محمد احمد دياب، الأصولية الاسلامية والأصوليات الدينية الأخرى، (بيروت: منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، [د. ت]).
١٩- محمد العبد الكريم، *صحوة التوحيد: دراسة في أزمة الخطاب السياسي الإسلامي*، ط٢، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٣.
٢٠- محمد حافظ دياب، *سيّد قُطب الخطاب والأيديولوجيا*، ط١، القاهرة: دار الثقافة الجديدة للنشر، ١٩٨٧.
٢١- محمد عمارة، *ازمة الفكر الاسلامي*، القاهرة: دار الشرق الاوسط، ١٩٩٠.
٢٢- محمد عمارة (تحقيق وتقديم)، *الأعمال الكاملة للأمام محمد عبده*، الجزء الأول، القاهرة: دار الشروق للنشر، ١٩٩٣.
٢٣- محمد عمارة، *التراث والمستقبل*، ط٢، القاهرة: دار الرشاد ، ١٩٩٧.
٢٤- محمد عمارة، فؤاد زكريا، *أزمة العقل العربي*، القاهرة: دار الأفاق الدولية للنشر، ١٩٩٣.
٢٥- محمد محفوظ، *الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل*، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩.
٢٦- محمود إسماعيل، *الإسلام السياسي بين الأصوليين والعلمانيين*، الكويت: مؤسسة الشراع العربي، ١٩٩٣.
٢٧- هاشم صالح، *معضلة الأصولية الإسلامية*، ط٢، بيروت: دار الطليعة للنشر، ٢٠٠٨.

٢٨- هاني الهندي، *الحركة القومية في القرن العشرين دراسة سياسية*، ط٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٥، ص١٨٧.
٢٩- يوسف القرضاوي، *مستقبل الأصولية الإسلامية*، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، سلسلة رسائل ترشيد الصحوة، ١٩٩٨.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح

ليث مزاحم خضير، "أيديولوجية العنف المسلح في تصورات الأصولية الإسلامية المعاصرة (دراسة نماذج)"، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة تكريت، العراق، ٢٠١٦.

المصادر الأجنبية

1- The Shorter Oxford English Dictionary (Oxford: Claredon Press. 1955)..